

## عيون في الحلم

« وتناقلت الافواه والأذان همسات سرية أخذت تقصمه وتقطعه اوصالا ثم تنشر اشلاءه على جبل طويل ». لكنه يكتشف استحالة الثأر لشرفه أو حتى ترك زوجته . فيبقى الى جانبها مستمسكا وراضيا بدور القواد التي تعصف في رأسه ذكريات النضال . وحين يأتي السرد القصصي ليتعامل معه بشكل نهائي ، فانه يحيل الحس المتساوي الى سخرية مريرة : « وعندما هز رأسه شعر به ثقيلاً كرخامة كبيرة . وامتدت يده لتحتسسه فاصطدمت بقرنين صفيين » . لكن هذه السخرية هي التعبير الاساسي عن الحس المتساوي الثاني ، حيث تأتي استسلاماً أمام أوجاع لا تحصى لا تتوقف أمام الوجد ، بل تتركه ينساب على مساحة العلاقات الانسانية . ففي قصة « صفحات منكسرة من تاريخ المدن التي انتصرت » . نتعرف على شخصية « طاهر عبدالله العيسى » في موقف الهرب والتشرد . لكن هذا الموقف ليس حالة خاصة أو متعذرة . لذلك يتعامل معه المؤلف بحنان وقسوة . فالاختفاء عن أعين السلطة هو في الوقت نفسه تحد للزمن والاشياء . لذلك يأتي السرد القصصي ليخلص : « انعطف في زقاق جانبي لم يسلكه من قبل ، وعندما وصل الى نهايته وجده مسدودا . كان الزقاق غارفاً تاماً . وعندما تلفت لم تسقط عيناه على وجه أو نافذة فتتحقق ازرار بنطاله وأخذ يتبول على الجدار » . وفي قصة « الوقعة » تتوقف طويلاً أمام شخصية عباس النذاف . فهو نموذج عادي ويومي للرجل الذي تسحقه علاقاته ، حتى زواجه من فاطمة يتحول الى مدخل لانقاذ حياته اليومية من قمعها له .

قد تكون هذه النماذج الثلاثة مثلاً واضحاً على الحس المتساوي الذي يستقطب القصة دون أن يلقي بظلاله عليها . يأتي هذا الاستقطاب في حركتين أساسيتين : الحوار العادي جداً والذي يرسم اطارات العلاقة الاجتماعية . والسرد الختامي التدخلّي ، الذي يرغم هذا الاستقطاب الى مستوى الحلم اليومي . يتدخل الكاتب في السرد ليرسم النهاية ، أو يستطلق أحد أبطاله هذه النهاية

في مجموعة عبد الرحمن الربيعي القصصية ، اصرار على الحب المجاني ، فهو حين ينتقل بين مآسي وهبوم أبطاله ، ويتعامل معها ببساطة وواقعية لا يدوم الى شيء سوى الى الحب . يدفع القارئ الى الابتسام بحنان شفاف أمام أبطال يعيشون أوجه المأساة دون ان يجعلوا من مآساتهم حيزاً تراجيدياً صراعياً . فالمأساة التي تدفع الى السخرية هي الوجه الآخر للواقع ، وهي أيضاً المقرب الآخر للقصة القصيرة أو للرواية . نتعرف على نماذج لا تطلب شيئاً منا ، لانها لا تطلب الحياة بأكثر من خيبتها . الانسان كما هو ، حين تأخذه تفاصيل حياته اليومية ، ولا تدع له مجالاً للتفكير بمصيره . وحين يطرح مأساة هذا المصير ، فانه يطرحها بشكل مبسط وهادئ ، يتعامل مع « ترويه » بحنان ، وتخرج ابتسامته لتغطي حيزاً تراجيدياً فقد قدرته على قتال الحياة ، فرضي بها كما هي دون تفلسف مفتعل ، وابتداءً ينسج علاقاتها من جديد .

**الحس المتساوي الثاني :** خلف البسطة التي ترسم على المستوى الأول لهذه القصص . يقع حس متساوي مرهف وبالغ الحساسية . لا يأخذ من المأساة حجبها المباشر ، ولكنه يتوقف عند قدرتها على رسم شخصيات عادية لا تنسى . هنا تقع قيبة هذه القصص في مرحلتنا التأسيسية هذه ، حيث نفاجاً بأبطال يبقون في الذاكرة بوصفهم يحملون احساساً عاباً ، ثم ينتشرون على مساحة علاقاتنا اليومية . تتوقف امامهم وتبدأ من خلال علاقاتك اليومية بهم اكتشاف المأساة الحقيقية التي تلف حياتهم . يظهر هذا جلياً منذ النصة الأولى « مملكة الوعول » ، حيث لا يزال الحس المتساوي في المقدمة ولم يخفت بعد خلف النكتة السوداء بشكل كامل . نسعدني السجين ، يخرج من السجن ليكتشف ان زوجته التي يحبها قد أصبحت مومساً :

✽ عبد الرحمن مجيد الربيعي : عيون في الحلم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق